مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العدد: 2 (2022)، ص: 423 – 431

قيم التسامح في الرواية الإماراتية (رواية الشيخ الأبيض)الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أنموذجا

Tolerance values in the Emirati novel (the novel of the white Sheikh) Sheikh Dr. Sultan bin Muhammad Al Qasimi as a model

لخضر بن عيسى ذيب[1]

[1] جامعة عمار ثليجي الأغواط - الجزائر، dib.lakhder@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/28 تاريخ القبول: 29 /2022/04 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

يعتبر التسامح فضيلة أخلاقية، وقيمة للعدالة، ومطلب للرشد والعقل ويقوم علي مبادئ أخلاقية معينة ؛ تعتمد هذه المبادئ على عدم انتهاك البعد الإنساني للآخرين، وان هذا المفهوم تتم ترجمته في صوره سلوكيات اجتماعية وعقلانية بغض النظر عن عواطف المرء ومزاجه الشخصي.

والتسامح هو موقف من الآخر سواء كان إنساناً أو فكراً أو رأياً، إنه الموقف الذي ينم عن سعة صدر واستعداد لفهم وتفهم الآخرين، كما يعرف بأنه موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر عن الغير سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا.

والتسامح في بلد التسامح الإمارات العربية المتحدة التي ما فتئت تزاوج بين ترسيخ نهج التعايش والتسامح اجتماعيا وثقافيا وتشريعيا وبين القيام بمبادرات لخدمة هذا النهج على الصعيد الدولي، ولأجل ذلك حاولنا البحث عن هذه القيمة في رواية الشيخ الأبيض الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الرجل المتسامح الجامع المناهض للظلامية والتعصّب.

كلمات مفتاحية: التسامح – القاسمي –الشيخ –الإمارات العربية

Abstract:

Tolerance is considered as a moral virtue, a value of justice, a requirement for reason and is based on certain moral principles; These principles depend on not violating the human dimension of others, and that this concept is translated in the form of social and rational behaviors, regardless of one's emotions and personal mood.

Tolerance is an attitude of the other, whether he is a person, a thought or an opinion. It is a stance that demonstrates openness and readiness to understand others. It is also known as an intellectual and practical stance based on accepting the intellectual and practical stances that come from others, whether they agree or contradict our postions.

Tolerance in the country of tolerance, the United Arab Emirates, which has always intermarried between consolidating the approach of coexistence and tolerance socially, culturally and legally, and undertaking initiatives to serve this approach at the international level, and for that wetried to search for this value in the narration of White Sheikh Dr. Sultan bin Muhammad Al Qasimi, the tolerant, unifying man Of obscurantism and fanaticism

Keywords: Tolerance - Al Qasimi - Sheikh – Arab Emirates

المؤلف المرسل: لخضر بن عيسى ذيب

1. مقدمة:

الرواية التاريخية هي أحد أشكال الرواية المختلفة. هي عمل من الخيال التاريخي، يأخذ كخلفية له حلقة كبيرة في بعض الأحيان في التاريخ، مختلطة حيث تختلط الشخصيات والحقائق التي اخترعها المؤلف بالحقائق الموثقة، مع شخصيات موجودة بالفعل. و يمزج فيها بشكل عام الأحداث والشخصيات الواقعية والخيالية.

وعند إشراك الشخصيات التاريخية، يجب على المؤلف احترام الحقيقة التاريخية. لهذا السبب، لا يجعلهم أبطال قصته. الأبطال هم الشخصيات التي اخترعها. مما جعلها تحظى بشعبية كبيرة . حيث يقدّر القراء هذه القصص لأنها تقدم الكثير من الحركة وتتميز بشخصيات استثنائية تعيش العديد من المغامرات، كل منها أكثر إثارة من التي تليها.

تجعل الروايات التاريخية القراء يشعرون بتغيير المشهد من خلال غمرهم في العصور الغابرة.

لا يقتصر دور هذه الروايات على التسلية والتسلية فحسب، بل إنها تساعد في تثقيف القراء من خلال توفير معلومات حول حقبة معينة.

فالرواية التاريخية تتناول الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن على شرط أن لا يستقر هناك لفترة طويلة إلا إذا كان الخيال يمثل جزءاً من البناء الذي سيستقر فيه التاريخ مما يدل على العلاقة الوطيدة التي تربط بين التاريخ والرواية فالمهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي.

عتبة العنوان :

إن متلقي متن رواية الشيخ الأبيض كقارئ، يختلف عن تلقيه كناقد، فالرواية تحمل عنوانا يستفز ذهن القارئ لضرورة دراسة هذا العمل « واكتشاف علاقة العنوان بمتن الرواية، فالعنوان نافذة النص على العالم ودليل القارئ إلى النص، أي أن وجود من وجود العنوان » . (**حسين، 2007، ص692.**)

فهو يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، إن كانت العناوين لا تعبر دائما عن مضامين نصوصها بطريقة مباشرة أي تعكسه بكل جلاء ووضوح بل نجد بعض العناوين غامضة ومبهمة ورمزية بتجريده الانزياحي مما يطرح صعوبة في إيجاد صلات دلالية بين العنوان والنص، وأن يبحث عن المرامي والمقاصد والعلاقات الرمزية والإيحائية ليتأسس التفاوض بين الخارج (القارئ) والداخل (النص) و ثمة أمران : إما إحالة أيروسية تقع بينهما، فتفكك الحدود حيث يذوب القارئ في النص شوقا والنص في القارئ هياما، وإما القطيعة فيحل النكوص وينهار فضاء التفاوض ، حقيقة إن العنوان إشكالية فنية، فهو عمل شعري جاء في حالة غير شعرية و هو قيد لتجربة فرض عليها ظلما و تعسفا. ومع ذلك فهو عادة أكبر من القصيدة /النص إذ له الصدارة و يبرز متميزا بشكله و حجمه و هو أول لقاء بين القارئ و النص، و كأنه نقطة الافتراض حيث صار هو آخر أعمال الكاتب و أول إعمال القارئ، فعنوان الرواية التي بين أيدينا والتي نحن بصدد كشف خباياها انطلاقا من عنوانها (الشيخ الأبيض الذي جاء تركيبيا اسميا وصفيا مبتورا نحويا يتكون من وحدتين دلاليتين (الشيخ) موصوف، الأبيض (صفة)، حيث حذف المسند إليه (المبتدأ) : هو وظهر المسند (الخبر) : الشيخ و " الخبر ما أسند إلى المبتدأ و هو الذي تتم به مع المبتدأ فائدة " حرصا من الكاتب على صب كل اهتمامه على الخبر وتمكينه في ذهن المتلقي لأن به يتم المراد وتتحقق القصدية، وكلمة الشيخ: تعني لغوياً الرجل الكبير في السن، وقد استخدمت في القرآن والسنة بهذا

المعنى، فمن ظهر به الشيب واستبانت فيه السن فهو شيخ، وقد يعبّر بها عمن يكثر علمه، لمَّا كان مِن شأن (الشيخ) أن يكثر تجاربه ومعارفه، وقد يكون لقبا في الحقول السياسية والإدارية ، كلقب رئاسيّ وملكي في عدد من بلدان الخليج فيقال: " سمُوّ الشَّيخ " كناية عن سليل (الأسرة الحاكمة).

وقد لقب الشيخ زايد بن سلطان بن زايد "شيخ العرب" و هو أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة ومؤسس أول فيدرالية عربية حديثة 1971.و في النظام القبائلي والقروي عُرِفَ شيخ القبيلة القائم على رئاستها وشيخ البلد، وربما هذا المعنى الأقرب و الأنسب لمتن الرواية التي نروم دراستها، فقد أشار صاحب الرواية في نهاية القصة أن عبد الله بن محمد (بول) عاش شيخ القبيلة (القرا) مدة طويلة من الزمن، وكان يلقب بالشيخ الأبيض، أما كلمة الأبيض فتتضح الدلالة من خلال المستوى المعجمي أن مفهومها ينحصر في كونها لوناً روحانياً يبعث في نفوس ناظره الانسجام، والسلام، والطمأنينة، و ليس عجيباً إذاً رؤية المسلمين يسترون أجسادهم بالملابس البيضاء عندما يُؤدون الفروض والشعائر الدينية كصلاة الجمعة والحج، ولا ينتهي هذا الاتصال الوجداني عند هذا الحدّ، فحتّى بعد انقضاء أجل المسلم يتمّ تكفينه بقماش أبيض ليستعد للقاء ربه بقلب طاهر نقي، ولعل اختيار المؤلف لهذا اللون تنعكس على نفسيته، فهو شخص مثالي بكلّ ما تشمله الكلمة من معاني السلام، والهدوء، والتصالح مع الذات و الآخرين، هذا بالإضافة إلى الترتيب والتنظيم، والبعد عن العشوائية، فنادراً ما يتواجدون في أماكن تعمها الفوضى، عدا محاولاتهم الدائمة لتحقيق مستوى عالٍ من الكمال والاحترافية في كلّ ما يفعلونه، ولا يُمكن التغافل عن براءتهم ونقاء نفوسهم الخالية من الأنانية أو التصنع، ولا نستبعد الدلالة الأخرى لهذا اللون الذي طالما ارتبط بالفكر العنصري المبنى على الاعتقاد بأن الأفراد ذوي العِرق والأصل الأبيض هم أسياد على كل البشر من الأعراق ففي تاريخ الولايات المتحدة، لطالما استعمل البيض العرق لإضفاء شرعية خلق فروقات اجتماعية واقتصادية وجعل السياسة حكراً عليهم". فقد حظر قانون التجنس لعام 1790 إعطاء الجنسية لغير البيض.

العنوان ← الشيخ الأبيض ← علامة لسانية (دال + مدلول)

↓

دال (01) ← مدلول (01) المعنى التقريري (يتطابق مع الجانب المرجعي للمدلول)

رجل طاعن في السن أبيض البشرة

↓

دال (02) ← **مدلول (02)** المعنى الإيحائي أو ما يعرف بمعنى المعنى

الرجل الغربي ذو العِرق والأصل الأبيض– شيخ القبيلة - سليل الأسرة الحاكمة

علاقة العنوان بنص الرواية : عادة ما تكون العناوين مخادعة ومضللة للقارئ حيث يصير العنوان عبارة عن مجرد تسمية من « تسميات كثيرة ممكنة وهي على الرغم من اختيار المؤلف ليست ملزمة للقارئ الذي من حقه أن يقترح للكتاب المقروء عنوانا بديلا أو تسمية جديدة، قد تكون أكثر ملاءمة وأصدق تعبيرا عما يرغب المؤلف في إبلاغه إلى المتلقي، أو عما يتوصل إليه القارئ نفسه من خلال قراءته » ، (**الناقوري، 1995، ص75**).

أما عنوان الرواية التي بين أيدينا فقد خرج عن النمطية التي تتسم بالإحالة مباشرة على مضمون النص، و هكذا يبدأ الاختلاف بين القُراء عندما يتيه كل واحد منهم في مسلك خاص به من مسالك الاحتمال الدلالي، إلا أن العنوان يرتبط بعلاقة عضوية مع النص إذ يشكل بنية تعادلية تتألف من بيانين في العملية الإبداعية هما: العنوان والنص، فالعنوان هو المناص الذي يستند إليه النص الموازي وهو لا ينفصل عن مكونات النص، فإن اختياره لا يخلو من قصدية وهو يأتي في إطار

سياقات نصية تكشف عن طبيعة التعالق التي تتم بين العنوان ونصه، والنص والعنوان، لذلك سأحصر اهتمامي في تحديد علاقة العنوان بنص الرواية (الشيخ الأبيض) على معنى واحد (الرجل الغربي ذو العِرق والأصل الأبيض) انطلاقا من أن أحداث القصة حقيقية وقعت في بداية القرن التاسع عشر و تروي تفاصيل سيرة الأمريكي عبد الله بن محمد (JOHANNES HERMAN POLL) المتحدر من أصول ألمانية، فدور البطولة الفعلية يعرض نفسه على عنوانها، ويبلور رؤية المؤلف لعالمه المستمد من تأريخية الرواية،فلطالما كانت العناوين مداخل كاشفة للمتون السّردية وحتى الشّعرية. والتأريخ كما هو معروف هو تلك المادة المنجزة و المنتهية التي مر عليها زمن لا بأس به، « يضمن حدود المسافة التأملية بيننا و بين المادة المعنية قصد منه الكاتب سلب النص بعده الزمني- في جانبه التاريخي- مؤقتا بهدف تحميله بعده المعرفي، أو الجمالي الذاتي، بتتبع ارتحالات المعنى من الثقافة بعناصرها المركبة من أفكار، وممارسات إلى العقل الإبداعي (المؤلف)، الذي ينجح في تحويل العناصر من الصيغ الثقافية إلى الصيغ الأدبية واختزالها في صورة خطاب أدبي جمالي ينتظر قارئا واعيا، يحل شفرات الثقافة المركبة، ويكشف عن دلالات تحولها من الثقافي إلى الأدبي لإنتاج خطاب نقدي حول النص، يؤسس لظهور جملة من الأنساق لم تكن في الحسبان » . (**أحمد يوسف، 2009، ص16**).

هذه الرواية ذات البعد التاريخي والتي توخى فيها الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي الصدق والأمانة في نقل الأحداث واعتماد الوثيقة المكتوبة أو الشفوية، فقد قام بزيارة لمدينة «سيلم» في الولايات المتحدة الأمريكية، وشاهد المباني القديمة في الجزء المتبقي من المدينة القديمة_ بلدة «جوهانس بول»، كما قام بزيارة متحف «بيبودي»، وكذلك مركز الوثائق «إيسكس» في «سيلم». أمَّا في الشرق فقد بحث عن أحفاد «جوهانس بول» في ظفار، فعثر على السيد عبد الخالق بن سالمين بن ربيع، وهو ابن السيدة المعروفة في ظفار «حرير» بنت عبد الله بن محمد «جوهانس بول»، وأمها «بريكون» التي تزوجها والدها في أواخر حياته. ولتوثيق حياة «الشيخ الأبيض» عاد الدكتور القاسمي إلى وثائق عربية منها «بضائع التابوت في تاريخ حضرموت»، وهو مخطوط بقلم السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقّاف، ويقع في ثلاث مجلدات كبيرة، ومجموعة مكاتبات الحبيب طاهر بن حسين علوي، وإلى كتاب «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» للهكلي، وكتاب «تاريخ المخلاف السليماني» للعقيلي وكتابي «الاحتلال البريطاني لعدن» و«العلاقة العُمانية الفرنسية» للدكتور القاسمي كما عاد إلى وثائق ومراجع إنكليزية.وفي هذا تتجلى إستراتيجية الخطاب التاريخي الماهرة، إذ تهدف إلى الإقناع باستدلالات خاصة .

فيا ترى لماذا يريد الكاتب استقصاء واقعة إنسانية منقضية ؟

لقد وجد الدكتور القاسمي في الرواية التاريخية، المحل الأفضل الذي تجد فيه جدلية الواقع والممكن أنسب مجال للتحقق، ويمكن أن تثار فيه حركة النوسان هذه بين الاعتقاد وعدم الاعتقاد، ففي مقدمة رواية الشيخ الأبيض كتب الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسميّ أنَّ الممثل الأمريكي **باتريك سويزي** Patrick Swayze ذكر له بأنَّه رغب مرة في أن يمثل دور شيخ عربيّ، وقد طلب من مدير أعماله أن يبحث له عن قصة عربية بطلها عربيّ سيقوم هو بتمثيل دوره في فيلم، فأجابه مدير أعماله بأنَّ العربيّ ذو ملامح خاصة لا تنطبق عليه. قال السيد سويزي بأنَّه ردَّ عليه قائلاً: " لنبتدع قصة ونذكر بأنَّ جنديًا من الجيش الأمريكي الذي نزل في شمال إفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية تاه في الصحراء فوجدته القبائل، وعاش لدى تلك القبائل حتى أصبح واحدًا منهم ثم صار شيخًا عليهم! « قال الشيخ الدكتور القاسمي للممثل الأمريكي: سأروي لك قصة حقيقية مماثلة لتلك القصة التي تبحث عنها. لقد دار الحوار بين الشيخ الدكتور سلطان القاسمي والممثل الأمريكي سويزي قبل حوالي عام من تأليف الشيخ القاسمي روايته " الشيخ الأبيض " ذات المرجعية التاريخية الحقيقية » . (**الكعبي، 2020، http://www.akhbar-alkhaleej.com/**)

قيم التسامح في الرواية الإماراتية (رواية الشيخ الأبيض)الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي نموذجا

صورة الآخر في الرواية :استطاع الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي أن يثبت أن أثر الفن الأصيل، إنما تبرزه روح اجتماعية أصيلة، تعبر عن العصر كله، وترسم ملامحه، وتحدد أيديولوجيته، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين الأدب و الإيديولوجيا، بل استطاع أن يؤكد أن الظروف التي وافقت إنتاج هذه النصوص تُؤلّف لا محالة جزءا من مضمون تلك النصوص ففي مفارقة عجيبة تنسخ التصور القبيح الذي ارتسم في الأفق المعرفي للمتلقي العربي عن الآخر الغربي (الغرب الصليبي الذي لا يزال حاقدا، بيئة منحلة يسودها الانحطاط في العلاقات)، يفاجئنا كاتب الرواية الدكتور سلطان بن محمد القاسمي بقراءة أشبه ما تكون بمسافة التوتر التي تنشأ لا على صعيد المكونات اللغوية الجزئية فقط؛ بل على صعيد المواقف الفكرية ليمنح المتلقي القدرة على المشاركة في إنتاج النص الروائي وتخصيبه برؤى جديدة وإعادة صياغته في إطار معطيات جديدة، فلم يعد الروائي الحداثي يعتني بالحدث التاريخي، لما يحمله من دلالة في الواقع السياسي فقط بل كرؤية وجودية للكاتب، وحمولة نفسية تلف هذا الحدث، وتجعله يبرز منارة من بين ملايين الأحداث التي تختزل الذاكرة، ويكتب لبعضها البروز والآخر يبقى دفينا مطمورا، ليعيد رسم الصورة الذهنية التي ارتسمت طويلا انطلاقا من أن تغيير الوعي عن العالم هو الذي يشكل محتوى للوجود التاريخي للإنسان ، فبطل الرواية عبد الله بن محمد (جوهانس بول) يؤثر العيش مع العرب على العودة إلى دياره؛ فقد شب عبد الله (بول) في نعيم السيد محمد بن عقيل، الذي تبناه وربّاه أحسن تربية وعلمه اللغة العربية فأجادها كواحد من أبنائها، درس علوم الدين فحفظها، ودرس علوم البحار ومارسها، وتمرن على أساليب القتال فأتقنها، حتى غدا شابا في الخامسة عشرة من عمره، بصحة جيّدة، أبيض البشرة يميل إلى الحمرة من أثر الشمس وأنواء البحار، كان يلبس لباسا عربيا و يتمنطق بخنجر عربي. أحب سلمى وصيفة والدته زوجة السيد محمد بن عقيل، فطلبها من والده فزوجه إياها.

مع أن العالم الإسلامي لا يحب القوة الأمريكية، ولا يحب التعالي الأمريكي، إلا أن بطل الرواية أظهر ميلا غريبا إلى كل ما هو عربي و إسلامي، أحب قيمه وعاداته وتقاليده، مما جعله يتشبث بوطنه الجديد وهويته العربية الجديدة، ورفض العودة إلى وطنه الأصلي أمريكا، مخاطبا عائلته : أنا ارتباطي بكم بالدم فقط ... ليست لدي الرغبة في الرجوع إلى بلدكم .

فقد حدثنا المؤرخ البريطاني الشهير السير أرنولد توينبي (عن سلوك مماثل لسلوك بول) في حوار أجراه معه ولده فيليب ونشره في كتيب منذ أكثر من أربعين سنة. سأل فيليب والده قائلا: أنت بريطاني المولد والسيرة والهوية، لو سألتك عن أي مكان وددت أن تستوطنه باستثناء بريطانيا فماذا تجيب؟ أجابه: نعم، أنا بريطاني وأعشق وطني وريفه ومدنه وكل حضارته وثورته الصناعية الحديثة، ولكن لو كان الخيار بيدي لاخترت أن أكون أحد أبناء أثينا في أي زمان من أزمنتها كي أستنطق منحوتاتها وتماثيلها وأعيش كل تاريخها، وأرى نفسي فيها حقيقة لا في غيرها. اختلفت الظروف إلا أن الموقف واحد، فقول الشاعر:

كم منزلٍ في الأرض يألفُه الفتى * وحنينُه أبداً لأوّلِ منـزِلِ**

لا يمثل شيئا بالنسبة لعبد الله(بول)، وحتى لا نقسو على الرجل ونتهمه في وطنيته، نقول : إنه يعيش وطنية متعددة، وطن المولد و وطن التبني. أصبح بول مزدوج الهوية . مع أن عواطفه مازالت مشدودة بوطنه الأم فهو أحيانا " يسرح بخياله محاولا تذكر موطنه الأصلي. كانت تتراءى أمامه صور غير مكتملة. محت من ذاكرته كثيرا من صور أيام حياته الأولى. تذكر سيلم تلك المدينة المزدحمة بالسكان وميناءها الذي كانت ترسو فيه سفن كثيرة، جالبة إليها البضائع من كل بقاع الأرض. كانت صور ملاك السفن تمر بذاكرته، وليام غري **Gray William** التاجر المعروف في مدينة سيلم، والسيد وليام أورن**Orne William**صاحب السفن الكثيرة، ومالك السفينة إيسكسEssex، وكذلك وليام

بنتلي**William.Bentley** الشخصية المبجلة في سيلم، فقد كان يوم إنزال سفينته إلى البحر يوما عظيما لا ينسى، عطلت فيه المدارس، وترك العمال والصناع عدتهم، واندفعوا مع الحشود إلى شاطئ البحر، لمشاهدة ذلك الحدث البهيج، كذلك مر بخياله ذهابه إلى المدرسة، وحاول أن يتذكر شيئا مما تعلمه لكنه لم يستطع .. ويبدو الأمر طبيعيا فمن الصعب أن ينسى الإنسان ماضيه ويتحرر منه مطلقا.

وحتى ننصف بول أيضا نقول : إن المعاملة الحسنة التي لقيها هذا الطفل في بيئته العربية الجديدة، جعلته يتمسك بها و يأبى مغادرتها أو استبدالها بمكان آخر حتى لو كان هذا المكان هو الوطن الأصلي حيث أهله وعشيرته وحيث توفر شروط الحياة الضرورية للإنسان من أجل العيش الكريم، عبد الله (بول) زهد في كل ذلك لأنه وجد عند السيد محمد بن عقيل المودة و التسامح و إمكانية التعايش فـ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" سورة الممتحنة، الآية 07 .**

والحقيقة أن ما تم الإشارة إليه، نابع من رغبة لدى الروائي (الدكتور سلطان بن محمد القاسمي) في فتح صفحة جديدة مع الآخر بعيدا عن ميراث الكراهية، التي تستدعيها الحرب، فعمل على تخفيف العداء بيننا وبين المستعمر، وهذا من حقه، إذ لا يمكن لأحد أن يلومه على ذلك، ما دام يحاول أن يرسم ملامح ماض لا دورا في إثارة حقد الأنا على الآخر، مركزا على الجانب المسالم والمنفتح لديه،لعله يخفف من ملامح صورة الآخر البشعة، التي رسمتها له المخيلة العربية.

صورة الأنا في الرواية :

إن تقديم الأنا ودراسته عبر رؤية متسامحة ليس بالأمر السهل، إذ تحتاج الأنا المبدعة إلى تكوين جديد على المستوى المعرفي والإنساني، ونعتقد أن تجارب المعايشة اليومية تستطيع أن تعزز التواصل الإنساني بين الذات والآخر، تقضي على كثير من الأوهام، وتعزز مشاعر الندية، فتسهم في تأسيس علاقات إنسانية معافاة، تؤدي إلى الاعتراف بالآخر بصفته شريكا في هذه الحياة، إن هذه العلاقة الندية تغني تجربة الحياة وتزيدها حيوية، كما توسع آفاق الإنسان المعرفية والإنسانية، «فيزداد إدراكا لروعة العلاقات الإنسانية المبنية على المحبة والتفاهم و تعميق الشعور بالانتماء الوطني لدى المواطن الإماراتي والخليجي، وتبرز أهمية المنطقة تاريخيا بكشفها عن صفحات مضيئة وخالدة من تاريخ المنطقة » .**(فاطمة أحمد خليفة، 2003،ص263)**.

إن معرفة الذات (الأنا) يتم بمعرفة الآخر، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الانفعالات المكبوتة اتجاه الآخر، وفهم وتحليل أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه، فتعري الذات والآخر معا، وبذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب، وتسهم في إزالة سوء التفاهم الذي ينزع إلى إعلاء شأن الأنا وسلب الآخر حقه، وترفعه إلى مستوى يقترب من تعاملها مع ذاتها وهذا ما تجلى حقيقة في انفتاح الأنا المسلمة (محمد بن عقيل) على الآخر بروح موضوعية يسودها التسامح لذلك لن تنحرف أو تبالغ في تعاملها مع الذات أو الآخر فيتم تقديم الصورة عبر رؤية واعية، تعتمد العلم، وتصغي لنبض الإنسان وبذلك تستطيع أن تنظر للآخر باعتباره ندا للذات فينتهي الهوس والانبهار.... كما ينتهي الرهاب، فيقبل الآخر على الأنا بكل أريحية واختيارية لأنه وجد فيه الملاذ .

يقول بول : إن والديَّ اللذين أحبهما أفضل عندي من موضوع الحرية التي تعرضانها علي لقد تماهى الآخر مع الأنا في صورة إنسانية متعالية.انتهت بإقبال بول على اعتناق الدين الإسلامي، يقول حيدر

وهو أحد المرافقين للصبي بول :" سيدي هذا الصبي يريد أن يصبح مسلما، ومستعد أن يختن " و حينما سأل السيد" محمد بن عقيل" الصبي الأمريكي عن اسمه أجاب: " اسميبول، فقال السيد محمد بن عقيل: بل اسمك عبد الله ...عبد الله ابن محمد بن عقيل"(**القاسمي، 1996،ص36**).

لقد سعي الأنا(محمد بن عقيل)إلى تغيير الآخر (يول) وإقناعه. وقدنجح هذا السّعي وأثمر

الأنا ← المخيلة العربية ← عداوة وحقد ← تنافر مع الآخر

↓

تسامح ومودة ← تجاذب و تماهي مع الآخر

هذا خطاب الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي- بلسان محمد بن عقيل- الرجل المتسامح الجامع المناهض للظلامية والتعصّب و رسالته إلى الآخر أيا كان انتماؤه، خطاب قوامه التعايش الندي بعيدا عن كل نظرة عنصرية ما، سواء دينية أم قومية، وهذا شعار المسلم انطلاقا من تعاليم دينه يتسامح مع الآخرين ويتحاور مع المخالفين.

نسق التسامح والتعايش في الرواية :

التسامح من المبادئ التي تقوم عليها الشرائع السماوية وحتى البشرية،إن ّ السامل تميز في هذه القيمة، فأخذ بيد المظلوم وحفظ كرامة الضعفاء، كما وازن يقوم على التوازن ما بين الضعفاء والأقوياء حتى لا يستأسد القوي على الضعيف، فهو دين تسامح وعدالة، فالتسامح صفة آدمية مستساغة من قبل كافة الأجناس و الملات والأعراق

فقد شاءت الأقدار أن يعيش بول (الصبي غير المسلم) في أسرة عربية مسلمة و يندمج فيها ويلقى القبول من الآخر ،رغم أن بول يحب بلده الأصلي، ومتحمس للرجوع إليه، لكن ذلك بعد وفاة السيّد محمد ابن عقيل الذي تعهده بالتربية .

و بطل الرواية الأمريكي عبد الله بن محمد (جوهانس بول)« يؤثر العيش مع العرب على العودة إلى دياره؛ لأنه نشأ بينهم ووجد عندهم الراحة والطمأنينة والرخاء، كما أن العرب أحبّوه وجعلوه رئيسهم، فضرب بذلك مثلا لإمكانية تعايش الشعوب، في ظل الاحترام والمودة » . (**بطاهر، 2019، ص 62**).

وفي موقف آخر تجلى فيه التسامح في أبهى صوره هو حين " دخل عليه - أيّ عبد الله بن محمد - أحد رجال المهرة وهو يصيح.. يا شيخ.. يا شيخ عبد الله.. أنت اليوم شيخ القرا.. وهذه شيوخ القرا كلها جاءت تبايعك"

ويبدو أن فكرة التسامح ليست وليدة الساعة بل هي نهج سارت عليه دولة الإمارات مند تأسيسها، قصة بدأت خيوطها بفكر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الأب المؤسس لاتحاد دولة الإمارات - طيب الله ثراه - وتناقلها أبناء الوطن جيلا عن جيل، ولعل الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حين تبنى فكرة التسامح والتعايش لم يأت بدعا من القول، بل هي امتداد لثقافة سائدة في المنطقة منذ القدم، وتأكيد قيمة التسامح باعتبارها امتداداً لنهج الشيخ زايد بن سلطان آل نهيا - رحمه الله - مؤسس الدولة، وعملاً مؤسسياً مستداماً يهدف إلى تعميق قيم التسامح والحوار وتقبل الآخر والانفتاح على الثقافات المختلفة.

خاتمة :

- حاول المؤلف أن يقدم عملا روائيا انطلاقا من حقائق تاريخية حيث أبقي على حوادث التاريخ كما هي وأصبغ عليها رؤيته للتعبير عن تجربة إنسانية عاشتها المنطقة.
- يرى المؤلف أن استدعاء الخطاب التاريخي لإنشاء خطاب الرواية الراهن يجعل من التاريخ نسيجا طريفا مكونا في المتن الروائي.
- معظم الخصائص البنائية للرواية التاريخية متوفرة؛ فالرواية جمعت بين التخييل، والواقع التاريخي النصي. فضلا على أنها حوت ضروبا من العلاقات أو الثنائيات المتكاملة (الماضي والحاضر) – (الأنا والآخر)- (المقصد الأصلي والمقصد الطارئ).
- لم يكن هدف الكاتب بتوظيفه للمادة التاريخية الوصف والتوثيق بل كان يروم القراءة التأويلية.
- رسخت رواية الشيخ الأبيض من خلال استلهام حادثة تاريخية قيما أخلاقية وإنسانية، لتروج لفكرة التسامح بين الأديان والثقافات وحوار الحضارات.
- قد يكون الهدف المحوري لرواية "الشيخ الأبيض" هو إبراز القيم الإنسانية التي يؤمن بها الأنا (محمد بن عقيل- الدكتور سلطان بن محمد القاسمي - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان- الرجل الإماراتي خاصة – الرجل العربي عامة) و الآخر (جوهانس بول– الغربي).

قائمة المراجع :

- إدريس الناقوري (1995)، لعبة النسيان- دراسة تحليلية نقدية-، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1 .
- البيريسر.م (1967)، تاريخ الرواية الحديثة،، ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات، بيروت، ط1.
- خالد حسين حسين(2007)،في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق دط.
- عبد الفتاح أحمد يوسف (2009)، قراءة النص وسؤال الثقافة، استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن.
- محمد رياض وتار (2000)، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق .
- القاسمي الشيخ الدكتور سلطان بن محمد (1996)، الشيخ الأبيض، دار الخليج للصحافة والنشر، الشارقة الإمارات .
- نضال الشمالي(2006)، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1 .
- بن عيسى بطاهـر (2019)، رواية " الشيخ الأبيض": الرؤية والتشكيل الفني، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية المجلد 16 العدد 02 .
- فاطمة أحمد خلبفة، 2003 ،تقنيات السرد في الرواية الإماراتية، بحث منشور ضمن وقائع الملتقى الأول للرواية الإماراتية، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة .
- ضياء عبدالله الكعبيّ (2020)،سـرديات: سردية التاريخ التوثيقيّ.. رواية «الشيخ الأبيض» للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسميّ.**http://www.akhbar-alkhaleej.com**